هذا ما رواه الفأر الحكيم إلى الصغار في المدرسة الروضة، ثم تابع الدرس، عرض عليهم صورًا مختلفة لأنواع المصائد من الطراز القديم إلى الحديث، وحذّرهم من أنواع السموم وخاصة التي لها رائحة والوان زاهية حيث تأتي على شكل كرات صغيرة جذّابة، ونهاهم عن السباحة في المياه الراكدة، فهي دائمًا ما تكون ملوَّثة بموادَّ كيميائية، وأخيرًا عرض عليهم صور الأعداء الطبيعيين من الحيوانات والطيور مما جعله يأمرهم بتجنب الاحتكاك بهم وتوخّي الحذر منهم، ثم أوقف العرض عند صورة " كرْبَش". قطّ شوارع ضخم يعيش فوق المجاري مباشرة، ومن حين لآخر يقوم بزيارتها، ويترصد أية فرصة سانحة لالتهام أيِّ فأر في مرمى بصره، ولا ييأس من مطاردتهم أبدا.

أصاب الفئرانَ الصغارَ الفزع من منظر " كرْبَش"، ثم فتح الفأر الحكيم المجال للصغار لطرح الأسئلة:

سأله أحد التلاميذ وقد بدا على وجهه الذعر "هل كرْبَش يعلم بمكاننا؟!".

فأجابه "حتى الآن لا يعلم، ولكنْ علينا أن نكونَ حذرين، ولا نقترب من المخرج رقم 5".

ما لبث أن تساءل أحدهم واسمه بُوقْشَا: "يقال أن الفِيَلَةَ تخاف من الفئران هل هذا صحيح؟ " (ضحكت أخته التوءم بُوشا من قوله).

أجابه الفأر الحكيم متبسما: "حتى البشر يخافون منّا".

فاستفسرت بُوشا وقد بدا على وجهها الغضب: "هل نحن أشرار؟!"

"على العكس!، نحن مسالمون ولطفاء، ولكن.. ستعرفون الإجابة عندما تكبرون".

في تلك اللحظة شاع جرس الانصراف، فانفضّوا جميعا من حوله عائدين إلى أحضان أهاليهم.

وقبل ان يتوجه الفأر الحكيم إلى القاعة، القا نظرة على الطبّاخ "كُرْوبُو" والذي كان منهمكا بإعداد الطعام، قال له الفأر الحكيم ممازحا "رائحة زكيّة، أنا متشوق لمعرفة وصفتك السرية"، وبسرعة بديهة قال له" ثم أُصبح عاطلا عن العمل!" وضحك، ثم اردف قائلا "سيدي، هل سيتوفر لي مكانا عندما يحين الموعد؟!"، نظر اليه وقال" اطمئن عزيزي كُرْوبُو، سيحظى كل منا بمكانه في الرحلة" وابتسم له ثم توجّه الى مكتبه. وكالعادة وجد مساعده السيّد ستانفرد ينتظره وبين يديه الصحيفة اليومية، تناولها منه ووقع بصره مباشرة على العنوان المتصدر في الصفحة الأولى وبالخط الأحمر العريض قرأ (المواطنون يستنجدون "انقذونا من الفئران!" والجهات المختصّة تتخذ إجراءات أكثر صرامة.)

ثار الغضب في داخله مثل بركان هائج لكنّه تمالك أعصابه ومسح بيده على لحيته البيضاء الطويلة ثم علّق على الخبر وهو لايزال ينظر الى الصحيفة قائلاً: "لا زلنا نعاني من جريرة حدثت بالماضي، وسيعمل البشر على القضاء علينا بأي وسيلة كانت". ثم طوى الصحيفة محكما عليها قبضته. بلع السيد ستانفرد ريقه وقال "سيدي الجميع ينتظرك في القاعة الكبرى"، أومأ الفأر الحكيم برأسه "حسناً، هل من اخبار عن السيد ماركو؟!" فأجابه بقلق" ما من أخبار حتى اللحظة، بدأت أخشى أن أمراً ما تعرض له". تنهد الفأر الحكيم "اسبقني أنت الى القاعة وسألحق بك بعد قليل".

إنه الاجتماع الأسبوعي المعتاد، ويقام بالقاعة الكبرى التي أسسها السيد ماركو "الزعيم الروحي" لفصيلة الهلابيوس[1]. تقع القاعة في أحد أروقة المجاري تحت المدينة الكبيرة وحولها يعيش ويسكن جميع الفئران في مستعمرة صغيرة.

في الاجتماع يحضر أسياد وكبار الفئران بمختلف فصائلهم بعضهم أتى من الطرف الآخر من المدينة لمناقشة المستجدَّات وخاصةً مشروع الهجرة والذي يتزعمه السيد ماركو وبإشراف الفأر الحكيم.

---

[1]الهلابيوس اسم من ابتكار المؤلف ويقصد به فصيلة نادرة من القوارض تشبه الفئران ولكنهم ليس من فصيلتهم الجرذ.

بدأ الفأر الحكيم الاجتماع ملوّحاً بالصحيفة المطويّة في يده ومقطبا حاجبيه المبعثرة اللذان غزاهما الشيب فقال بنبرة جادة " الحرب ضدنا تستعرّ، والصيد والكمائن في الأرجاء ومن حولنا تنتشر، والمخاطر من حولنا جعلت حياتنا لا تستقر" ثم فتح الصحيفة على العنوان الرئيس أمام الجميع. اتسعت أعينهم خوفاً وقلقًا. ومن الخلف جاء صوت أحدهم "قرأت خبراً أن البشر سنّو قانوناً صارما يحمي ثعلب الماء من الانقراض، ربما أن الأمور ستتحسن معنا"، فتعالت الأصوات في القاعة وقال آخر مؤيداً للخبر "نعم أنا كذلك قرأت خبراً ان هناك قائمة من 67 نوع من أنواع الحيوانات والطيور المهددة بالانقراض تم وضع قوانين لحمايتها"، تنحنح الفأر الحكيم ثم التفت اليه قائلا" تصحيح لمعلوماتك! الرقم 67 اصبح من الماضي، اليوم القائمة ارتفعت إلى 70 نوع وهي قابلة للزيادة"، كان الفأر منزعجاً فقال له" ارني مصدر المعلومة" ومرّة أخرى ارتفعت الأصوات في القاعة بوتيرة يشوبها القلق وعدم الثقة، فصاح فيهم السيد ستنافرد "هدوء فنحن في مجلس، رجاءاً أكمل سيدي الفأر الحكيم" ثم بنبرة تهكمية وجّه الفأر الحكيم كلامه

الى ذلك الفأر مباشرة وقال له وهو يحاول استذكار اسمه " نعم تذكرتك، سيد جادون، اليس ذلك اسمك؟" اوما له برأسه موافقا، فاكمل الفأر الحكيم" هل ستكون سعيداً عندما يسدون لك معروفا بسن قوانينهم التعيسة والتي هي في حقيقتها حبر على ورق في الوقت الضائع، نحن على وشك الانقراض؟!، وربما لن تكون سعيداً، هل تعرف لماذا؟"، فأومأ الفأر برأسه نافياً فقال له بغضب وقد حملق اليه بعينيه "عندها ستكون مأسورا في إحدى تلك المختبرات التعيسة تتجرّع موادهم السامة فتصبح فأراً سمينا او مسرطنا ويسقط فراءك عن جسدك، وقبل أن تموت لديهم طريقة رائعة لإنهاء حياتك، بإلقائك إلى أحد مصائدهم الحديثة لاختبار مدى فعاليتها؟" ثم القى الفأر الحكيم الصحيفة على الأرض أمام السيد جادون وعاد وجلس على كرسيه محدّقاً بغضب نحو الأرض وينقر بعكازه الخشبي نقرات متتالية في توتر.

عمّ الصمت ارجاء القاعة وكأن على رأسهم الطير. حينما شق ذلك الصمت تساءل السيد ستانفرد "وما الحلُّ برأيك سيدي الفأر الحكيم؟". نهض الفأر الحكيم من على كرسِيِّهِ مستندا على عكازه وخطا خطوات متثاقله نحو صندوق

في الزاوية ووضع نظارة القراءة على عينيه وفتح الصندوق، أخرج منه كتابًا قديمًا مهترئاً- تمزَّقَ غلافُهُ، وبَدَتْ بعض صحائفه ملتصقة ببعضها وبنبرة صوت عميقة وجّه كلامه للجميع قائلاً: "كل شيء مكتوب هنا.. نحن معشر القوارض بمختلف الفصائل نقوم بدور مهم، البشر لا يعرفون دورنا الحقيقي في التوازن البيئي، لنرحلْ! وندعْهم يواجهون مصيرهم المحتوم عندها سيدركون قيمتنا!" ولمعت عيناه كالبرق. فهتف الجميع في حماس.

لكن السيّد جوكي وبنبرة ساخرة تململ قائلا " عدنا مرة أخرى إلى هذه الاساطير؟!"، ولسوء حظه سمعه من حوله بكل وضوح، ومرة أخرى تعالت الأصوات الغاضبة في القاعة، فكّر الفأر الحكيم "هذا لا يخدم خطتنا". استغلّ الفرصة السيد ستانفرد ليهزأ بجوكي فقال له "الموت شجاعاً خير من حياة الجبناء!"، غضب السيد جوكي وهمّ بمهاجمته ولولا صوت استغاثة القادم من البوابة الرئيسية للقاعة، فهرع من في القاعة للمساعدة فكانت الصدمة صاح احد الفئران "لقد أصيب السيد ماركو".

كان السيد ماركو ملقا على الأرض مضرّجًا بالدماء، وحضر على الفور الفأر الحكيم وطلب إدخاله إلى القاعة.

أمر الفأر الحكيم الجميع بإخلاء القاعة وطلب من السيد ستانفرد احضار الطبيبة دوني وعلى الفور انطلق اليها.

نظرا الفأر الحكيم والسيد جوكي الى السيد ماركو الذي يئن من جراحه، فعلم الفأر الحكيم أنه في النزع الأخير، وعلى الفور قام بتفتيش جيوب سترة هذا الأخير ويسأله بلهفة "متى الموعد؟ هل سجّلته في ورقة؟!" وسط استنكار السيد جوكي. شعر الفأر الحكيم بالخيبة والاستياء عندما لم يجد إجابة من السيد ماركو، ولكن وبصوت متقطع ضعيف قال السيد ماركو "روكي لا.. إن.. آ.. س"، في تلك اللحظة عاد السيد "ستانفرد" ومعه الطبيبة دوني والممرضة وفي يدها حقيبة الإسعافات، وبسرعة قامت الطبيبة دوني بفحصه ولكن كان السيد ماركو قد لفظ نفسه الأخير. وبحزن ابلغتهم الامر، شعر الفأر الحكيم بخيبة الأمل ولكنّه تظاهر بالحزن، ورغم أن السيد جوكي مازال مستنكرا من تصرفه الا ان الحدث كان أكبر، فأخذه الحزن الشديد وهو يواسي السيد ستانفرد الذي انهمرت دموعه كالسيل وهو يصرخ

صراخ الحزن عليه. أمّا الطباخ كُرْوبُو تجمّد في مكانه من هول الصدمة ولم ينتبه إلى الطعام إلا بعد احتراقه.

من خلف باب القاعة بدأت الفئران بطرق الباب يتساءلون عن مصير السيد ماركو، فأشار الفأر الحكيم بيده الى السيد جوكي بأن يبلغهم بالخبر، ومن الباب الجانبي للقاعة خرج مسرعاً متوجها الى مسكنه.

دخل الجميع وعندما شاهدوا السيد ماركو جثة هامدة اصابتهم القشعريرة، وكانوا بين مصدّق ومكذّب. فصاح أحدهم والرعب قد تمّلكه "هذا مصيرنا جميعا" وقال آخر "ضاعت آمالنا" وضرب بكّفيه وجلس بجوار الأول وهكذا تتابعت ردود الافعال حتى ضجت القاعة بالنحيب، بينما البعض والذي تكبّد مشقة الحضور من الطرف الآخر من المدينة كانت اعينهم شاخصة تجاه المطبخ وفي صمت تذمروا حسرة على الطعام المحترق.

أما السيد كلاس وكان من القلّة ممن يسعون الى الزعامة فكر أن الفرصة أصبحت مواتية. ادرك الامر السيد ستانفرد فاستجمع رباطة جأشه ثم ابلغهم ان الاجتماع سينعقد في موعده الأسبوع المقبل. فتساءل احدهم قائلا "متى ستكون الانتخابات؟" وتجمّع حوله مؤيديه وقال

آخر "سيد كلاس هو الاحق بأن يكون الزعيم الروحي". فطن السيد ستانفرد الى الأمر ولم يجبه وإنما فوجّه كلامه الى السيد كلاس مباشرة "الا ترى ان هذا السؤال من معاونيك سابق لآوانه، سيد كلاس؟!" قال ذلك بغضب شديد، واكتفى السيد كلاس بابتسامة خبيثة، في تلك اللحظة تقدّم السيد جوكي وكان الاضخم جسما بين الجميع، بوجه عابس وعينين يتناثر منها الشرر نحو السيد كلاس ومعاونيه الذي شعر بالخوف وتقهقر للوراء ومعه معاونيه. وبهذا استطاع السيد جوكي اخماد نار الفوضى التي كادت أن تندلع، ولو لبعض الوقت.

انفضت الجموع وبقيت مجموعة مع السيّد ستانفرد حملوا السيد ماركو الى عيادة الطبيبة دوني لإعداد مراسيم الحداد التي تليق بمكانته.

الفصل الثاني

الأودليين

روكي هو ابن "ماركو"-الزعيم الروحي-، هما من جنس القوارض الهلابيوس النادرة وعلى مر العصور فهذه الفصيلة تكون اعدادهم قليل جدا. وعائلة ماركو تسمّى الأودليين[2] وهي أندر عائلة في فصيلة الهلابيوس، فالأم في هذه الفصيلة لا تحمل إلا بجنين واحد سواء كان ذكرا أو انثى، وبعد الانجاب بقليل تصاب بمرض غريب وتموت. تحكي الاساطير ان هذه الفصيلة جاءت من كوكب آخر واستقرت على كوكب الأرض منذ ملايين السنين.

وبموت السيد ماركو لم يتبقى من تلك فصيلة الاودليين الا روكي ذلك الذي كان يلعب مع صديقته "مرغريتا" في الجوار ولم يبلغه خبر وفاة والده بعد. والذي لقي حتفه في المصيدة الكهرومغناطيسية وهي الأحدث ودقّتها تصل الى 99% ويصبح أي جسم متحرّك في مجالها

[2] الاسم الاودليين من ابتكار المؤلف

إلى جسم متفحّم في لمح البصر، نُصِبَت تحت مركز الفضاء إن آي إس 9. وذلك ما أراد السيد ماركو تحذيرهم منه قبل ان يموت.

عاد روكي إلى منزله ترافقه صديقته "مرغريتا" وهما في قمّة الحماس كالعادة، كانا يحكيان أحداث يومهما بالتفصيل للسيد ماركو وهو ينصت اليهما بكل اهتمام، وربما تحدث بينهما مناكفة على اتفه الاسباب وكان والده يضحك منهما. شعر روكي بالقلق عندما لم يجده، وعلى الفور اقترحت عليه "مرغريتا" أن يذهب إلى القاعة الكبرى بعدما تذّكرت ان اليوم هو موعد الاجتماع، وقبل خروجهما من المنزل فوجئا بالسيّد ستانفرد واقفًا أمام الباب وعلى وجهه الحزن. بدأ قلب روكي يخفق بقوة، وشفتاه ترتجفان وكأنه قرأ الخبر في عينيه، ولم يحتمل السيد ستانفرد الموقف، فاحتضنه، وانفجر بالبكاء وقال مواسيا له "والدك كان فأرًا عظيمًا.. لقد كانت إصابته بليغة، ولم نتمكن من إنقاذه، آسف يا بُنَيّ".

أصيب "روكي" بصدمة كبيرة، وغمره حزنٌ عميقٌ، ورغم ذلك لم تذرِفْ عيناه ولو بدمعة. بقي الحزن غُصّة

في حلقه. أما "مرغريتا"، فقد خرّت إلى الأرض تبكي بمرارة وحزن.

جرت العادة عند "الاودليين" يدفنون موتاها تحت شجرة معمّرة ويقوم الفرد منهم بذلك. وهذا ما حدث بالفعل لقد حضي السيد ماركو بتأبين يليق بإنجازاته وسط جموع الفئران الغفيرة وتقدم روكي وحيداً لدفن والده بعدما اعلمه الفأر الحكيم أن تلك عادتهم عبر العصور.

استغل الفأر الحكيم تلك العادة وبهذه الخطّة اقتنع كل من يسعى للزعامة ان روكي هو الوريث المستحق، ولكن حتى الساعة كان روكي يجهل كل ما يدور حوله. ثم بدأ روكي بالحفر بجوار قبر والدته، وقلبه يتقطع حزنا وألماً ومما زاد من حزنه تذكر أنه كان يلعب بجوار والده حين دفن والدته. وقتها كان طفلاً لا يعلم شيئاً. ومن اول حفنة تاب حثاها روكي على قبر والده تأثر جميع اصدقاءه واجهشوا بالبكاء وخاصة مرغريتا التي هرولت نحوه ولكن منعها والدها احتراما للمراسم. أمّا روكي فلا تزال الدموع رابضة غصة في حلقه.

لقد كانت مراسم الدفن مؤلمة وقاسية جداً على صبي في سنّه.

الفصل الثالث

الحلم الغريب

مَرّ شهرٌ بأكمله وروكي منعزل في منزله يتذكر والده وكل لحظة من لحظات الدفن. وفي بعض الأحيان يُخيّل اليه ان والده يدخل من الباب والتراب يكسوه. كان كل ركن في المنزل يذكّره به مما زاد من المه وحزنه. وكانوا كل من السيد ستانفرد ومرغريتا واصدقاءه يتعهّدونه وتكفّل الطباخ كُرْوبُو بإعداد الطعام لهم كل يوم. ثم قررت مرغريتا البقاء معه في المنزل وبعض اصدقاءه لمواساته وتخفيف حزنه، أمّا "روكي" فقد لزمه اليأس وانعكس عليه بالصمت والانعزال.

لكن سرعان ما شعر اصدقاءه بالضجر، فلا مرح ولا لعب، وأخذوا بالانسحاب الواحد تلو الآخر، عدا مرغريتا التي لازمته ولم تفارقه في محنته ولو للحظة فبقيت معه

في المنزل وبالطبع السيد ستانفورد الذي كان يأتي ليطمئن عليهما كل يوم صباحاً ومساءاً كعادته.

وذات مساء كانت "مرغريتا" مصرّة على أن تخرجه من حالته هذه، قالت له: "اشتقت للَّعِبَ والحديث معك"، "كنت تدخل السعادة إلى قلبي" ثمّ اعترفت له قائلة "روكي.. أنا.. أحبك" وصمتت. ثم نزلت من عينيها الجميلتين دمعة حاولت مداراتها عنه. انتبه لها روكي وفجأة نهض من زاوية انعزاله ومسح دموعها. عندها تحرّكت مشاعرهما، وانفجرا يبكيان بحرقة. كان ذلك بمثابة خروج الحزن القابع في أعماقه ولأول مرّة منذ وفاة والده.

في منتصف الليل، استيقظ "روكي" فزعًا من نومه؛ فهرعت مرغريتا نحوه تهدّئ من رُوعِهِ "لا عليك.. إنه حلم لا تقلق"، قال لها وهو يلتقط أنفاسه " انه كابوس.. كابوس يراودني كلّ ليلة.. لكن هذه المرّة كان مزعجاً للغاية". أحضرت له كوبَ ماء وسألته "ماذا رأيت؟!" فحكى لها الحلم بعد تردد. ابتسمت له قائلة "لِمَ لا تقصه على الفأر الحكيم؟!"، فنظر إليها ويبدو أنه لم يعجبه

اقتراحها، فتابعت الحديث: "إن حلمك هذا لابُدّ له من تفسير، والفأر الحكيم بارعٌ في ذلك، الجميع يذهب اليه".

في اليوم التالي استيقظا باكرا، وعلى الفور توجَّها إلى منزل الفأر الحكيم. في الطريق قابلا السيّد ستانفرد فبادره روكي بالتحيّة واحتضنه، وبدوره ربّت السيد ستانفرد على كتفه قائلًا: "أنت بمثابة الابن"، وتابع وقد رمى مرغريتا بنظر سرور واعجاب: " إلى أين أنتما ذاهبان؟!"، أجابته: "إلى منزل الفأر الحكيم"، فقال روكي: "هلا رافقتنا!" ابتسم لهما وقال: "وددتُ ذلك، ولكنْ لَدَيَّ بعض الالتزامات عليّ أن أقوم بها، وأرجو لكما التوفيق، أراكما لاحقا"، ودعهما ثم تابع سيره.

كان روكي يفتقد كلّ شيءٍ في القرية، ولاحظت ذلك مرغريتا، فقالت: "عدني بعد زيارة الفأر الحكيم، بأن نذهب لِلّعِبِ". فاطلق روكي ابتسامة وركض. تسابقا إلى ان وصلا أمام منزل الفأر الحكيم وتوقف روكي وكان متردداً: "أشعر بالقلق". "لا تقلق، سيكون كلّ شيءٍ على ما يُرام". وطرقت مرغريتا الباب، فأتى صوتا من الداخل: "الباب مفتوح"، كان منزل الفأر الحكيم متواضعًا جدًّا، دخلا الاثنان على استحياء ولقياه يجلس على كرسِيٍّ